مركز المنبر
للدراسات والتنمية المستدامة
ALMANBAR CENTER FOR STUDIES
AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT

أي مصير ينتظر الشرق الأوسط؟

المصدر: صحيفة "دنیای اقتصاد" والكاتب: الدكتور هادي خسرو شاهين

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌّ، مقرّه الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كتابها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

https://www.almanbar.org

info@almanbar.org

أي مصير ينتظر الشرق الأوسط؟

قسم الابحاث والترجمة

المصدر: صحيفة "دنياى اقتصاد" الإيرانية[1]

الكاتب: الدكتور هادي خسرو شاهين

تاريخ النشر: 1 أغسطس 2024

لا يمكن لهذا الوضع أن يستمر، ولهذا السبب إما نحن سنتجه نحو تصعيد التوتر على نطاق واسع وإما نحو وقف إطلاق النار الدائم في منطقة الشرق الأوسط.

في مذكرة كتبها مؤلف هذا المقال في 9 أكتوبر 2023 (بعد يوميّن من هجوم حماس على إسرائيل)، مستوحى من الأدبيات الناشئة عن الحرب الباردة، استدل بأن توازن الرعب في المنطقة يمنع انتشار الحرب إلى مناطق أخرى من المنطقة.

وركّز هذا الغستدلال بشكل أكبر على القوة المادية للأطراف المتنازعة، حيث اعتمد جانب واحد على القوة العسكرية الكلاسيكية، بينما اعتمد الجانب الآخر على القوة غير المتناظرة لمحور المقاومة، والذي امتد انتشاره الجغرافي من شرق البحر الأحمر إلى شرق البحر الأبيض المتوسط. وقد أدى اصطفاف مثل هذه الأدوات المتناظرة وغير المتناظرة إلى دفع الأطراف إلى منع اندلاع حرب إقليمية واسعة النطاق بأي وسيلة ممكنة. ولكن تراكم وكثافة الإجراءات الإسرائيلية، وكذلك محور المقاومة من أنصار الله في اليمن إلى حزب الله في لبنان على مدار الأشهر الثلاثة الماضية، يعمل على خلق قصور ذاتي يقضي على فرص إستمرار الوضع الراهن.

سأستعين بإطار نظري قدمه "ستيفن والت" في مقال له نُشر عام 1985 من أجل توسيع هذا التحليل. لقد هاجم هذا المفكر النيوليبرالي في مقاله الهام الذي نشر في مجلة "الأمن الدولي" النظرية النووية للواقعيين في العلاقات الدولية حول السلام من خلال توازن القوى، وقدّم بدلاً عنها أطروحة جديدة، فبدلاً من إعتماد القوة المادية كمصدر لتصرفات الجهات الفاعلة، تناول "والت" مفهوم التهديد كعنصر أساسي لأنماط السلوك في النظام الدولي. وفي الواقع، نحن هنا نواجه فصل مفهوم التهديد عن القوة.

على سبيل المثال، بناءاً على أطروحة الواقعيين، كان على الدول القومية الغربية خلال الحرب الباردة التحرك نحو قوة أضعف وهي الاتحاد السوفيتي، وذلك من أجل إرساء الاستقرار، حتى يتمكن هذا التحالف من تحقيق التوازن والموازنة ضد القوة العظمى المتمثلة في الولايات المتحدة. ولكن التصور الواسع للسوفييت حول مفهوم التهديد أدى إلى تشكيل حلف الناتو لكي تزداد قوة أمريكا ضد الإتحاد السوفياتي. والآن، يكفي تطبيق هذه الأطروحة لفصل التهديد عن القوة التي قدمها "والت" على منطقة الشرق الأوسط.

لقد شعرت إيران بتهديد وجودي خلال العقديّن الماضيين، وخاصة بعد سياسة تغيير النظام التي اتبعها المحافظون الأمريكيون الجُدّد، وقد كان هذا الشعور بالتهديد هو المصدر الرئيس للتحالف مع الجهات الفاعلة غير الحكومية لإنشاء شبكة ردع إقليمية لحماية الأراضي الإيرانية والأمن القومي الإيراني من لسعة الصراعات الساخنة. (محاولة إيران لموازنة التهديد) ومن ثم تماشياً مع تزايد النفوذ الإيراني في المنطقة عبر هذه الشبكة، سعت إسرائيل والولايات المتحدة وبعض الأطراف الإقليمية إلى خلق توازن مقابل لهذا المحور الجديد من خلال تحالفات أمنية، لا سيما في الخليج. (محاولة الطرف المقابل لإقامة توازن تهديد). إلاّ أن الأحداث التي وقعت في 7 أكتوبر 2023 كشفت عن عدم فعالية هذا المحور الإسرائيلي الأمريكي الجديد بالشكل المطلوب.

[1] https://www.magiran.com/article/4532900 جهعاقبتيدرانتظارمنطقهاست؟

في الواقع، رفضت الأطراف الإقليمية لعب دور نشط في هذا المحور (الناشئ عن اتفاقيات أبراهام) وذلك بسبب صعود قواعد "التعامل المحوري". ومع ذلك، حتى 31 تموز/يوليو، دفع التوازن الناتج عن القوى المادية الجهات الفاعلة على كلا الجانبين إلى التفكير في التصرف بحذر استراتيجي. ولهذا السبب، فإن عمليات حزب الله اللبناني وأنصار الله في اليمن، كأعضاء آخرين في محور المقاومة، رداً على الهجوم البري الإسرائيلي على غزة، لم تتجاوز المستوى المنخفض والمتوسط. في المقابل اهتمت إسرائيل بالاعتبارات الإستراتيجية نفسها فيما يتعلق بحزب الله وقوى المقاومة الأخرى باستثناء حماس. ولكن مع اغتيال إسماعيل هنية، باعتباره أحد قادة محور المقاومة، ولأن ذلك وقع في طهران، باعتبارها المنطقة الرئيسة لشبكة الردع الإقليمية، فقد تغيّر مستوى التهديدات المتبادلة، وبطبيعة الحال، فإن بعض مناورات قوة حزب الله، مثل تحليق طائرات الإستطلاع والتجسّس بدون طيار فوق المنشآت العسكرية الإسرائيلية، فضلاً عن العملية الأخيرة التي قام بها أنصار الله في تل أبيب، كانت سبباً في دفع الإسرائيليين للشعور بالتهديد في مستوى غير مسبوق.

إذن، نحن نواجه اليوم اختلالاً في توازن التهديد بعد عقديّن من الإستقرار، وذلك على الرغم من عدم حدوث تغييرات جوهرية في توازن القوى المادية أو توازن الرعب في ساحات النزاع خلال الأسابيع الأخيرة.

لهذا السبب، وكما في السابق، رفضت إسرائيل قبول مسؤولية إغتيال إسماعيل هنية في طهران، وهذا في حد ذاته مؤشر على أن هذا الفاعل لا يريد مغادرة المنطقة الرمادية.

وعلى الرغم من أن الإجراءات الأخيرة لهذا الكيان يمكن تصنيفها ضمن أنماط عدوانية، إلاّ أنه لا يجب أن ننسى هذه التجربة التاريخية: حتى توازن الرعب كان سلاماً ضعيفاً وهشاً بطبيعته، وربما لهذا السبب فضلّت القوتان العظيمتان خلال حقبة الحرب الباردة ربطه بأسس هيكلية ونظامية. أسس أدت إلى حوارات تخفيف التوتر في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، وحتى في أوائل الستينيات من القرن الماضي، كانت هناك حوارات واتفاقيات غير رسمية ضمنية حول أزمة الصواريخ الكوبية أدت إلى نزع فتيل الأزمة.

لكن الأمر مختلف في منطقة الشرق الأوسط ، فتوازن الرعب الناتج عن التنافس على القوى المادية في منطقتنا يفتقر إلى هذه الأسس الهيكلية والنظامية، وهذا الأمر يمكن أن يُضاعف من نطاق وتغيير توازن التهديد في هذه المنطقة خلال الأزمات.

والأمر المؤكد هو أن أحداث الشهر الماضي تشير إلى تحول كبير في توازن التهديد. هذا التحول إما سيُجبر الأطراف الإقليمية والدولية على بذل جهود مُضاعفة لخلق أسس هيكلية جديدة للصراعات في المنطقة التي تشهد تحولات عدة، أو سيدفعهم إلى الدخول في دوامة تصعيد حاد، مما سيؤدي إلى حرب شرسة لإعادة تعريف توازن القوى المادية، والأهم من ذلك، موازنة التهديدات.

الصورة: Middle East